

أساليب التنصير

في البلاد الإسلامية

تأليف

الدكتور قاسم السامرائي

دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

أساليب التنصير

في البلاد الإسلامية

الطَّبعَة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م





دار الرفاعي
للنشر والطباعة والتوزيع

ص.ب : ١٥٩٠ ـ الرياض ١١٤٤١ ـ تليفون : ٤٧٨٨٨٣٣
تلكس : ٤٠١٣٦٧ (الفرات)ـ فاكسيملي : ٤٧٩٤٣٢١
المملكة العربية السعودية

المكتبة الصغيرة
(٥٦)

أساليب التنصير في البلاد الإسلامية

تأليف
الدكتور قاسم السامرائي

دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

ⓒ دار الرفاعي للنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
السامرائي، قاسم
أساليب التنصير في البلاد الإسلامية .
... ص؛ .. سم
ردمك ٧ ـ ٠٤ ـ ٦٦٢ ـ ٩٩٦٠
١ ـ الإرساليات التنصيرية ٢ ـ التنصير ـ العالم الإسلامي
أ ـ العنوان
ديوي ٢٧٥,٣٧ ١٥/٠١٧٨

رقم الإيداع: ١٥/٠١٧٨
ردمك: ٧ ـ ٠٤ ـ ٦٦٢ ـ ٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدّمَة

الحـمـد لله الذي أنعم علينا من نعـمـه الظاهرة والباطنة ، والصلاة والسلام على المبعوث بدين الحق إلى الناس كافة ـ صلاة دائمة أبد الدهر ، وبعد :

أصل هذا الكتيب كان محاضرة عامة ألقيتها على طلبة الثقافة الإسلامية وطلبة الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ضمن محاضرات أخر حين دعيت أستاذاً زائراً في السنوات ١٣٩٩ ـ ١٤٠١هـ ، فأضفت إليها شيئاً هنا وشيئاً هناك مما استجد، بيد أنني لا أدعي شموليتها بعد هذه السنين . وقد آثر أستاذي وصديقي معالي

الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي إخراجها فله منّي أعمق الشكر وأجمل الثناء ، وأرجو اللــه تعالى أن يجعلها في مـيـزان حـسـناتـه وحـسـناتــي يوم الحـســاب إن شاء الله .

قاسم السّامرائي

الرياض في جمادى الأولى سنة ١٤١٣هـ

لقد وقفت قبل الكتابة طويلاً لأراجع الجزازات التي انتزعت ما فيها من كتب المبشرين ، وتواريخ التنصير في البلدان الإسلامية ، ومن كتب بعض المسلمين الذين كتبوا في التنصير وعن التنصير ، ومن بعض المقالات التي تناول فيها مصنفوها الاستشراق والتنصير معًا ، أو تلك التي تناولت الحديث في التنصير والاستعمار ، أو تقارير المنصرين إلى جمعياتهم وردود هذه الجمعيات إليهم ، أو ما نشر في الصحف الهولندية في الأقل حول الإسلام ومشكلة العمال الأجانب من المسلمين الذين دفعهم طلب الرزق للهجرة إلى بلدان أكثرها من النصارى ، أو الصراع القائم حتى اليوم بين قرارات الكنائس في نشر نور الإنجيل بين هؤلاء المغتربين ، ومعارضة الكثير من قسس هذه الكنائس الذين أدركوا أن التنصير بين المسلمين عقيم . فنادوا باحترام الإسلام بوصفه دين توحيد ، وبتوجيه

جهود الكنائس إلى النصارى أنفسهم الذين انسلخوا تمامًا من النصرانية . أو أحدثكم عن جهود أولئك الذين كفروا بالنصرانية فهاجموها ودافعوا عن الإسلام وشريعته ونبيِّه مع أن دفاعهم لم يكن منبعثًا من حُبِّهم للإسلام بوصفه دينًا ولنبيه بوصفه صاحب وحي ، وإنما من اعتقادهم العميق بأن أبناء عقيدتهم قد أعماهم الهوى ، فتنكبوا سبل الموضوعية فأسرفوا ، وكشف هؤلاء وما يزالون يكشفون الأدوار البشعة التي أداها المنصرون في تحطيم ثقافة الأمم وحضاراتهم ، التي كانت تفوق الحضارة الأوربية العرقية في إنسانيتها وشمولها مثل حضارة الأستك في أمريكا الجنوبية التي دمرها الإسبان الغزاة تماماً [(١)] ، ونعوا على المستشرقين الأول ضيق أفقهم وعنصريتهم ، وتعاونهم مع

---

(١) Cf . De Volkskrant , Zat. 10 Oct. 1992, " Folio" , With references .

عنوان هذه المقالة : « النصارى في الجنة ؟ إذن فنذهب إلى النار » .

" Christenen in de hemel ? Dan liever naar de hel "

استعمار بلدانهم في السعي لاستبدال الإسلام الذي كفل لهذه الشعوب تقدمًا روحيًا حين نقلهم من الوثنية والديانات البدائية ألى سمو في الخلق وصفاء في العقيدة ، بالعادات الوثنية وأعرافها التي كانوا عليها قبل دخولهم في الإسلام .

أم أكتب حول المنصِّرين الذين ما زالوا يحلمون بدولة ملكوت المسيح على الأرض ، ويرون في الإسلام حجر عثرة في سبيل نزول المسيح لانشاء هذا الملكوت ، وما زالوا يحنون لأيام العز الأوربي ، حين خضعت الخلافة العثمانية لمحاولات إرساليات التنصير بمساعدة دولهم ، في الحصول على امتيازات في حرية التنصير والتجارة وإسباغ حماية هذه الدولة النصرانية أو تلك على نصارى الدولة العثمانية .

أم أكتب حديثًا تاريخيًا أدغدغ به آمالكم وأختمه بالنفاق الفاضح بأن الإسلام بخير . وأردد مع أحد المنصِّرين :« ولم يسمع قط أن شعبًا قليلاً أو كثيراً انتحل الإسلام

دينًا ثم ارتد عنه »[1].فتنزل السكينة على قلوبكم .

إن الأمر ليس كما تظنون بل هولأشد ضراوة مما تطنون ، ولا بأس أن أذكركم بمذابح المسلمين في الهند وبورما وتايلاند ، وفي نيجيريا وأوغندا والحبشة والفلبين وأفغانستان وحديثاً في بورما وسيريلانكا والبوسنة والهرسك وفي مناطق لم نسمع بها لأن المهيمنين على السلطة ووكالات الأنباء ما كان لهم أن يشاؤوا إعلامنا .

فهل الإسلام بخير ؟ .

إن فريقاً من المسلمين يهتف بالاشتراكية ، وفريقاً تدغدغه أحلام الشيوعية ، وفريقاً تملكت مشاعره جاهلية القومية ، فرأى فيها بديلاً عن ديننا وفريقًا نبذ كل هذا وراء ظهره وجاء بكتاب أخضر جديد ونظرية عالمية جديدة لتكون للبشرية بديلاً عن ديانتها . وفريقاً آخر غرق إلى الأذقان في ترويج ثقافات مستوردة لم يحلم بنجاح ترويجها أساطين

---

(١) حاضر العالم الإسلامي : ص ٢٨٨ .

التبشير . فوفدت علينا من بين ظهرانينا اتجاهات فكرية مغلّفة بدعوات خطط لها ولم يزل دعاة الحرية ودعاة التقدم ، ودعاة الحضارة والتمدين ! والتعصرن !! لتنصب في مشاعر الشباب الخالية من أية مناعة إسلامية . إن من بيننا الكثير من العبيد ، عبيداً لهذه الثقافة أو تلك أو لهذه الدولة العابثة أو تلك ، وهؤلاء العبيد هم أعتى نفوذاً وأشرس صولة علينا من كل جمعيات التبشير ومن دوائر الاستشراق . إنهم آمنوا بهذه الثقافات وأرادونا أن نسير معهم قلبًا وقالبًا . وقد كان لبنان ولم يزل يوسعنا ضربًا بمحاولات التجديد والإصلاح والهدم ، ومنه تتعالى الدعوات المشبوهة التي لا تنتهي إلا لتبدأ من جديد ، بأثواب جديدة وأشكال جديدة . والقصد من كل هذه الدعوات واحد لا يتغير ، وهو الذوبان التام في الحضارة الأوربية الغربية والاستعمارية البيضاء والحمراء . بدعوى عالمية الفكر والثقافة مرة ، أو بدعوى أن الثقافة والعلم والفكر لا وطن لها وتتعالى الأصوات نفسها في إسرائيل كأن النصرانية لا يمكن أن تعيش

إلا على الثالوث حتى في الدعاية الثقافية لها أيضًا .فإن الذي بدأ لم ينته بعد، والتخطيط للجديد مستمر واصطناع العبيد يجري وفق أنظمة وأساليب شيطانية تتغير باستمرار .

وهؤلاء العبيد يصرون على إهانتنا في ديارنا، وهم مصممون على أن ننبذ إسلامنا . فهم يغمرون أسواقنا بالوسادات الخالية ، والأسِرّة الوردية ، وصحافتهم معنية بالحط من الدين ووصم أهله بالرجعية والتحجر والركود . وهم مصرون على تسفيه مثلنا وإفساد أخلاقنا واستغفال عقولنا دون رادع أو مستنكر[1] .

لقد أدركت دوائر التبشير والاستشراق ومعهما الاستعمار منذ زمن طويل ، إن أية وحدة لهذه الأمة تهدد التبشير ومعه الاستعمار ومعهما الاستشراق . وأدرك هذا الثالوث ، ومعهما الماسونية العالمية ، أن أية سيطرة لهم لا تتم ما دام الإسلام دين

---

(١) من هؤلاء : فرج فودة ومحمد أركون والجابري ومحمد سعيد عشماوي وأضرابهم كثير !!

الأمة . وهل أنا في حاجة إلى الشواهد وحديث تركيا وجمعية الاتحاد والترقي ، وماذا جرى لأعضائها ، ما يزال في الأذهان أو في صفحات المذكرات والتاريخ . والدونمة لم تزل تسيطر على صحافة تركيا والاتجاه العلماني على كثير من الصحف في العالم العربي والإسلامي . بل أن نجاح الاتجاه القومي الذي غذّته وأبرزته دوائر التبشير والماسونية ، يبرز عند الكماليين من الأتراك واضحًا . فقد نقل عن أحد هؤلاء أنه قال : « نريد أن نبني إسلامًا تركيًا يصبح ملكًا لنا ، وجزءًا من مجتمعنا الجديد، على نحو الكنيسة الاكليكانية التي هي مسيحية على نمط إنجليزي . فالانكليكانية ليست إيطالية ولا روسية ، ولكن أحداً لايستطيع اتهامها بأنها ليست مسيحية . فلماذا لا يكون لنا إسلامنا الخاص بنا »[١]. وعندنا من يريد إسلامًا أمريكيًا وآخر إنجليزيًا فما العجب من هذا الكمالي ؟؟ ولنستمع معًا

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية . لمحمد محمد حسين ، بيروت ١٣٩٩ هـ ، ص ١٧٠ .

إلى فون كرونه باوم وهو يحدثنا عن القومية في البلدان الإسلامية : فيقول :

« إن الدول القومية كانت موجودة ضمن سلطة الإسلام منذ عدة قرون ، إلا أن الشريعة لا تعترف إلا بالأمة الواحدة. وفي سبيل الحفاظ على وحدة العقيدة التي كانت تعتبر طارئة على وحدة الأمة الروحية ، والتي جعلت ظاهرة في وحدة الشريعة ، فإن القيادة الروحية للمؤمنين كانت مشغوفة دائمًا بالمحافظة على سلامة وتوسيع الرقعة الإسلامية ، في الوقت الذي تظهر فيه اهتمامًا ضئيلاً في توزيعها على أمراء العصر المتنافسين .

إن مشكلة القومية في الأقطار التي يسيطر عليها المسلمون في الوقت الحاضر تختلف عن قومية الغرب في أساسها من وجوه ثلاثة :

أولها : إن القومية الإسلامية (كذا)تتحرك ضمن نظام ديني ثقافي ظهرت بعض ملامحه القومية ، وهي تنافس القومية العليا ، أي : أن القومية في بعض البلدان

الإسلامية بدأت تنافس ما يدعو إليه الإسلام من قومية الدين !!

وثانيها : أن هذا النوع من القومية التي تستمد أصولها المباشرة من الغرب ، فإن أصحابها معرضون لأن يكونوا ، أو يظهروا كأعداء للإسلام ، وهي في كل الحالات حركة تدعو إلى العلمانية .

وثالثها : ونتيجة للاستعارة من المصادر الغربية ، لكثير من آرائهم العقلية والنفسية ، فإنهم في وضع يخفي عنهم الحركات المحلية التي تثيرها شرارات أجنبية من رسل ودعاة ، يدعون إلى مجد في المستقبل لأمتهم . وإن هذا لا يمكن أن يتم إلا بإضعاف ما تصبو إليه الأمة من منجزات عقلية وحضارية وحتى دينية ، لأن هذه المنجزات بالذات تظهر الآن كأنها عقبة لمجد المستقبل .

ويختم هذا الخواجة قوله : « يجب أن لا يغرب عن البال أن المتدينين من المسلمين كانوا خلال الأجيال الثلاثة أو

الأربعة الماضية ، متفقين على اعتبار أن القومية في الإسلام بلية لم تكن تعرف قبل التوسع الغربي وتدخلهم (الاوربيين) في دار الإسلام ، ومع أن هذه الفكرة مناقضة للحقائق التاريخية ، فإنها مهمة »[١].

إن هذا الخواجة يريد أن يقنع قارءه الغربي والمسلم ، بالرغم من الستار العلمي المسبل على ألفاظه ، بأن القومية في البلدان الإسلامية هي منافس للإسلام ، وهي بالتالي تقود إلى العلمانية ، وأنها خير سلاح في الوقوف في وجه الدعاة للإسلام . وأن هؤلاء الدعاة للإسلام هم أعداء الأمة ، لأن نجاحهم معناه إضعاف المنجزات العقلية والحضارية ، وحتى الدينية لهذه الأمة . وإذا حدثت هذا الألمعي عن قومية الدين في إسرائيل قال لك : إن هذا شيء آخر . فهو يريد

(١) Problems of Muslim Nationality in Islam and the west, ed. R . Frye, P. 8.

من الكردي أن يؤكد كرديته ، والإيراني إيرانيته ، والعربي عروبيته ، والبربري بربريته ، والتركي تركيته . والهدف تفتيت الوحدة الإسلامية المخيفة .

أما اليهودي ، فهو يهودي أولاً وأخيراً ، سواء كان هذا اليهودي من روسيا أو استراليا أو الحبشة أو اليمن أو ألمانيا أو من الجحيم أو من الواق واق . وملة الكفر ملة واحدة . فإن الفرنسيين لما دخلوا سوريا روجوا دعوى أن السوريين هم من سلاتل الآراميين والفينيقيين ، وأنهم ليسوا من العرب ، وهذا ما نسمعه اليوم من كميل شمعون والجميل وسعيد عقل وأدونيس ومن لف لَفَّهم .

وقد أصاب مصنفا التبشير والاستعمار في قولهما :

« إن هذه الحركات القومية ترمي إلى إضعاف الشعور الإسلامي خاصة بين البلدان الإسلامية »[1]. لأن الذين يذهبون مذاهب القومية في الحياة السياسية من العرب يسقطون الدين من حسابهم .

---

(١) مصطفى الخالدي وعمر فروخ ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ١٧٦ .

وفي كتاب « الرسالة النصرانية في عالم غير نصراني » للمبشر الهولندي هندريك كريمر ، لتبيان الأساليب التي يجب أن يتخذها المبشر ، بناء على طلب المؤتمر التبشيري الذي انعقد في مدراس سنة ١٩٣٨ م ، كردّ على الحملات المتزايدة من الإنسانيين العلمانيين في أمريكا وأوربا ضد التبشير ، قال :

« وفي الأقطار المستقلة سياسيًا الآن ، فإن استبدال (الإسلام) كدين للقومية ، بالوحدة القومية ، قد أصل وحدة الجماعة بدلاً من وحدة الدين عند المسلمين . وهذا قد فتح فصلاً مدهشًا في سياسة هذه الدول الدينية في هذه الأقطار التي كانت مسلمة منذ قرون طويلة . لقد اقتلع الإسلام منها وترك ليختنق مثل ما هو في تركيا وإيران (على عهد كمال أتاتورك ، ورضا بهلوي) ... وفي هاتين الحالين ، فإن المبشرين النصارى فد يعانون من عقبات في نشاطهم ، بيد أن الأمر أسهل مما كان عليه بالرغم من أن أية دعاية دينية علنية ممنوعة ، فإن الحرية التي يتمتع بها

المبشرون الآن في الاتصال بالمسلمين ، وحمل الإنجيل لهم بوساطة العلاقات الشخصية بالأتراك والإيرانيين والتي كفلها قانون « حرية العقيدة » ومن المحتمل جداً أن هذه الأنظمة القومية سوف توفر فرصًا ثمينة لأن هذه الأنظمة في اتباعها سياسة قومية صرفة ، تهدم نظام الملة الإسلامية القديم الذي كان يفصل بين المسلمين والنصارى : والذي عمل على خلق حاجز سميك للشك المتبادل بين الإسلام والنصرانية »[١].

ولا أجدني في حاجة للتفسير أو التعليق أو الإبانة .

وهذا هو السرّ في دعوة المبشرين إلى « حرية العقيدة » ومثله مايدعو إليه الشيوعيون من « الديمقراطية ، ومحبة السلام » . والمبشرون أحرار بحكم القانون ، والمسلمون مكممون بحكم القانون أيضًا ، والشيوعيون ومن في فلكهم

---

(١) Craemer , H . , The Christian Message in aNon-Christian World , London 1956.

أحرار أيضًا . ولكن لا ديمقراطية لأعداء الديمقراطية [١] ، وليس عجيبًا أن يلتقي كل هؤلاء ويرددون معنى واحداً ، لأن العدو المشترك هو واحد ، والعدو هو : القيادة الروحية في البلد الإسلامي . فما يحل نظام قومي أو اشتراكي أو أي لون من ألوانه ، حتى يبادر إلى خنق القيادة الروحية ، متمثلة في الأحزاب أو العلماء ممن يشكلون الخطر الأكبر عنده على سيطرته المطلقة ، فتجند الأقلام وتشرى الضمائر، وتحاك المؤامرات وتنسج الاتهامات حتى تؤمن الغالبية من الناس بفساد هذه القيادة ، وعمالة ذلك العالم . والنظام القومي يهادن الدين ، ولا يطمئن إليه لكمون الخطر في دعوته إلى تلازم الدين والسياسة معًا . وهذا ما سمعناه من لسان أحد الرؤساء حين قال : إن الدين يجب أن يكون في المساجد والكنائس ، وإنني أترسم خطى عمر بن الخطاب في معاملة الأديان المختلفة على أنها أديان إلهية .

(١) شعار رفعه الشيوعيون في كل مكان لوأد كل معارض .

فإذا بنيت مسجداً ، فإنني أبني كنيسة إلى جنبه . وهذا الرئيس يشير هنا إلى الحادثة التاريخية المشهورة حين رفض عمر الصلاة في كنيسة القيامة حين حانت الصلاة .

النظام القومي أياً كان ينبثق من الدعوة إلى الانتماء . والإسلام يدعو إلى الالتزام . وهذه أوربا انسلخت منذ زمن طويل من دعاوى القومية ، التي جرت عليها حروبًا ضارية ، وآلت أخيراً إلى الالتزام ، بالرغم من تنافر عناصر هذا الالتزام لغةً وتاريخًا ودينًا ، بل وعادات وأعرافًا. فما الذي يوحد بين أسبانيا واليونان وإيرلندا وألمانيا وهولندا وفرنسا وايطاليا ، لا شيء سوى المصلحة الاقتصادية . فما الذي ينافر بين الشعوب العربية ومن ثم الإسلامية ؟

وهذه تركيا أيضًا خطط لها أنور وطلعت وغيرهما ، وخطط لهؤلاء يهود الدونمة في سلانيك ونادوا بالدستور ، وحملوا شعارات الحرية والمساواة والعدل . فاغتيل أنور ، وقتل طلعت ، وذُبحَ رصفاؤهم في أوربا ذاتها ، لأن دورهم

انتهى . ومن كل هذا يتعجب (الخواجة) الهولندي كريمر فيقول :

« وحدث هناك ما لم يكن يعقل أن يحدث ، ففي خلال بضع سنين ،أنزل الإسلام من منزلته كثقافة دينية واجتماعية ، وكنظام سياسي هيمن على الحياة في كل مظاهرها ، إلى موضع تعيس كرأي شخصي واتجاه منبوذ ... والشيء الغامض أن كل هذا قد أنزل بالإسلام دون أن ينفجر فيه ذلك التعصب الإسلامي المخيف .. »

فقد استطاع كمال أتاتورك أن يحطم الشريعة ويذرها قطعًا ، لأن رجال الدين الأتراك لم تكن لهم تلك الصولة والسيطرة على الجمهور ، كما كان للمجتهدين في إيران . ولهذا لجأ رضا بهلوي إلى استعمال البراعة في إضعاف مركز المجتهدين ، ولما عارض هؤلاء إعلان الجمهورية في ١٩٢٥م ورفضوها ، استطاع رضا بهلوي في خلال سنوات أن يسحق قوة المجتهدين .

و(والخواجة) بعد ذلك يكيل المديح لأتاتورك ورضا

خان بهلوي ، لأنهما حطما الشريعة فأتاحا لرياح التمدن الأوربية أن تجول خلال تركيا وإيران ، فكانت النتيجة التي أدفأت صدره ، أن البطلين قد أضعفا الإسلام لدرجة كبيرة كقوة حاكمة ، وهذا يعني أن الشريعة قد قُصَّت أجنحتها ، فأصبح الطريق مفتوحًا لجيوش الإرساليات ، لأن رضا بهلوي وأتاتورك قد بدءا في إضفاء ثوب القداسة تدريجيًا على ماضي إيران وتركيا المشرق ! قبل الإسلام .

لقد تعاون المبشرون ومن ورائهم المستشرقون على إذكاء المشاعر القومية عند الشعوب الإسلامية ، والهدف من ذلك : قطع الخيوط السرية في العالم الإسلامي كما شاء المبشر (سيمون) أن يسميها ، ففي حديثه عن الإسلام في سومطرة قال :

« وقد كنا مضطرين في كثير من الأحوال إلى ملاحظة أن العالم المحمدي (كذا) مربوط بخيوط سرية ، فإذا حدث أن أصاب الإسلام تراجع في أية بقعة من العالم ، أو حدث أن انتصر الإسلام حقيقة أو خيالاً ، فإن هذه الأحداث يظهر

لها أثر حتى على عمل مبشرينا في هذا الجزء من العالم المحمدي في سومطرة »[1] . ونسي هذا (الخواجة) أن المؤمنين إخوة وأنهم جسد واحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

واتخذت عملية القطع هذه سبلاً شتى ، تختلف باختلاف البلدان الإسلامية التي يتناولها المستشرق ، أو التي يعمل فيها المبشر : فلنستمع إلى ادورد براون وهو يحدثنا عن إيران قال :

-« وفي القرن السابع جرف أتباع النبي العربي إيران ، وسيطروا بهجومهم الدموي العارم على سلالة قديمة ودين مقدس . فأحدثوا خلال بضع سنين تبديلاً وتحولاً لم يكن له مساوٍ في التاريخ . وبعد أن كانت مزامير الافستا تتعالى وكانت النار المقدسة تشب منذ قرون ، فإن صرخة المؤذن الذي

---

(١) Wilson , S . Taylor , The Mohammadan World of Today , ed . S . Zwemer - Wherey Barton , London - Edinburgh 1906 , P . 206.

يدعو المؤمنين للصلاة بدأت تطرق الأسماع من المآذن التي بنيت على أشلاء معابد أهورا مزدا ، وسقط موابذ زرادشت ضحية للسيف ، والتهمت النار كتبهم المقدسة ، ولم يبق من يمثل الدين الذي كان يومًا ما دينًا عظيمًا ، إلا حفنة من الهاربين إلى شواطىء الهند ، وإلا بقايا من المضطهدين الذين لجأرا إلى يزد المنعزلة أو إلى كرمان البعيدة . والحق أنه كان يبدو أن كل هذه الأمة قد أصابها التحول . فكان على هذا الجنس الإيراني الآري أن يحمل نير عبودية آكلي الضب الساميين الذين كان الجنس الإيراني لا ينظر إليهم باحتقار وازدراء فحسب ، بل كان عليه أن يتبنى عقيدته وإلى حد بعيد لغته »[1] .

وفي مناسبة أخرى يبرز الوجه الاستشراقي التبشيري عند هذا (الخواجة) الإنجليزي في محادثة له مع أحد البابية

---

(1) E . Browne , A Year Amongst the Persians P. 123.

في إيران : قال فيها :

« لو أن العـرب لم يغـزوا إيران ، مـذبحين وناهبين ومجبرين الإيرانيين ، فهل نعتقد أن دين محمد كان سيأخذ محل دين زرادشت ، أما بالنسبة لنا : فإن البرهان الأعظم على صدق تعاليم المسيح أن النصرانية انتشرت بالرغم من السيف لا بالسيف ، وإن أعظم انتقاد يوجه للإسلام أن انتشاره كان نتيجة قوة السلاح أكثر من قوة الاقناع »[1]..

" وأزيدك علماً أن أولئك الذين فهموا التعاليم الرقيقة ـ للمسيح لا يمكن أن يقبلوا عقيدة محمد القاسية ، التي كانت تصلح لعصره ، وأن هذه العقيدة بالتأكيد ليست أسمى تطوراً من دين المُخَلِّص" [2].

ومع أن هذا الخواجة قد شاهد الانحلال الخلقي العميق،

---

(١) IGid ., P.305 .

(٢) Ibid . P . 307

والزندقة التي وصلت عند من لقيهم من بابية إيران ، إلى حد أن يصف أحد البابية هذا الخواجة .

« ألاتنظر إلى نفسك أيها الفرنجي فأنت موضع تجلي عيسى ، ألا تنظر : أنك الذي حل فيك روح القدس ، لا . ألا تدرك أنك أنت الله »[1] .

وبالرغم من تأكيده على التشابه الواضح بين عقائد البابية والمزدكية والنباذية والمحمرة من البابكية والمازيارية فإنه وجه لهم نداء من أعماقه : « أيهاالبابيون ! يا من اضطهدتم بمرارة ، وأجبرتم على السكوت ، اثبتوا كما ثبتم في معركة الشيخ الطبرسي وزنجان ... أي مصير مقدر مخفى لكم وراء حجب المستقبل »[2] .

أما في تونس : فينصح (الخواجة) المبشر دولته فرنسا حين استعمرت تونس ، أن تعيد المسلمين إلى حالتهم

---

(١) Ibid . , P . 492 and524

(٢) Ibid . , P . 297 .

قبل الإسلام . لأن الإسلام أتاهم بقانون سنّه رعاة لرعيان ، فصعب تطبيق هذه الشريعة على مجتمعات ممدنة كالمجتمع القرطاجي . واستطرد هذا الخواجة قائلاً :

« إن بقايا التنظيم الذي بقيت آثاره إلى اليوم في تونس من مثل البلديات والصناعات وهندسة البناء ، ليست من اختراع العرب كمايقال . بل هي بقايا من المدنية القديمة السابقة للإسلام ، فسدت على عهد الفاتحين وأعمالهم العقيمة »[1].

وفي ربيع سنة ١٩٣٠م ، وبالضبط في ٧ مايو انعقد في قرطاجة بتونس المؤتمر التبشيري الذي حضره أربعون ألف قس نصراني لدعم التنصير ، وتقوية الاحتلال الفرنسي . ووقف أسقف قرطاجة ليقول لهذا المؤتمر : « إن أرض أفريقيا وخاصة شمالها ، هي الموقع المثالي للرسالة النصرانية ». وانتشر الرهبان والراهبات البيض أتباع الكاردنال

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية لكرد علي ١ / ٥٤ .

الكاثوليكي لا فيكري ، في كل من تونس والمغرب والجزائر، فأنشأوا المدارس والتقطوا الكثير من أطفال الفقراء من المسلمين وأيتامهم وأنشأوهم على النصرانية ، وحولوا الكثير من المساجد إلى كنائس ، وتعاونوا مع الاستعمار الفرنسي لطمس التعليم الإسلامي ، وإلغاء الشريعة . فأدخلوا المحاكم المدنية ، وحصروا التعليم بالأنظمة المدنية ، وكتبوا مناهج المدارس كما يشاؤون ، وألغوا كتاتيب تحفيظ القرآن . وقد لخص هذا الكاردنال رسالة التنصير فقال :

« لا حاجة بنا إلى الدعوة لنفس الدين ، بل الحاجة إلى التعليم والتمريض »[1].

وكان رهبان هذا الكاردنال يؤسسون بقرب كل محطة مستوصفًا طبيًا وصيدلية ، الأولى : تصف العلاج (مع الصلوات). والثانية : تعطي الأدوية مجانًا (مع نسخة من

---

(١) حاضر العالم الإسلامي ٢ / ٣٢٠ .

لإنجيل)، وبجانب هاتين المؤسستين الإحسانيتين ! كانوا ينشئون مدرسة ودار أيتام . فكان اليتامى يُعلّمون الدين النصراني فرضًا (مع كل وجبة طعام)[١].

ونشرت صحيفة هولندية في عددها الصادر في ١٨ أكتوبر ١٩٨٠م لقاء مع أحد المبشرين القدامى في الجزائرقال فيه :[٢]

« لقد كان في الجزائر على عهد الاحتلال الفرنسي مدارس كثيرة جداً ، يشرف عليها الآباء والأخوات البيض (يعني رهبان لافيكرى) ، وكان هؤلاء يختمون علامة الصليب على أيدي الأطفال الجزائريين »[٣].

وفي هولندا تركز إرساليات التبشير الآن على بنا ء

---

(١) N . R . C . Handelsblad , Zaterdag 18 Oktober 1980 , P . 20

(٢) انظر الجريدة الهندية في حاشية (٢) من الصفحة السابقة .

(٣) حاضر العالم الإسلامي ٢ / ٣٧٥

المستشفيات في البلدان الأفريقية ، والدول الإسلامية الفقيرة كباكستان وبنغلادش ، ودور العجزة واليتامى ، وتبني الفنادق للفقراء . لأن هذه طريقة مباشرة لتوصيل نور الانجيل إلى الناس . وهذه الإرساليات مرتبطة بالكنائس الهولندية المختلفة ، ولكل من البروتستانت والكاثوليك فترات في التلفزيون الهولندي يعرضون من خلاله الانجازات والجهود التي يبذلها هؤلاء المتطوعون من الشبان والشابات في التبشير لاستدرار المعونات من المؤمنين بنور الانجيل .

إن دعوى قصور الشريعة بأحكامها وأنها تتعارض مع الحياة العصرية ، رددها الكثير من المنصِّرين والمستشرقين أمثال ماسينون وسنوك هور خرونيه الذي كان يرى أن سن القوانين اعتماداً على الشريعة الإسلامية هو غير موافق للمسلم في حاضره ، لأنه ينبغي أن نُفهم المسلم أنه لا يقدر أن يعيش معيشة عصرية راقية وهو متمسك بشريعته ، وأنه يجب أن يعلم أن شريعة الإسلام لا تتسع لقبول المدنية الحاضرة .

ولما رد عليه الأمير شكيب أرسلان شفاها ، قال المستشرق الهولندي :

« لكن القانون الوضعي يحتم العمل بوجه واحد ، والشريعة لا تحتم الأخذ بمذهب واحد من مذاهب الفقهاء » .

فقال له شكيب أرسلان :

« للسلطان أن يرجح أحد المذاهب ويوجب العمل به ». وقال له شكيب في مراسلة له :

« لماذا المسلمون وحدهم هم الذين لا يمكنهم الرقي عندكم ، إلا بخلع الدين الإسلامي كما يزعم بعض أعداء هذا الدين ، ولماذا هذا الاستثناء للإسلام » . فلم يرد عليه [1].

وسنوك هور خورنيه الهولندي هو صاحب نظرية « الهيمنة الثقافية » ، في مستعمرات هولندا السابقة ، وقد عمل لهذه الفكرة طيلة حياته . فشجع التعليم

---

(١) حاضر العالم الإسلامي ٣ / ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

التنصيري على التنصير بالقوة التي قامت به الكنائس الهولندية ، وتبنته حكومة رئيس الوزراء - اللاهوتي ابراهام كاوبر في أوائل الثلاثينات وكان من رأي سنوك هور خورنيه مستشار وزارة المستعمرات للشئون العربية والإسلامية :

« إن الإسلام والنصرانية يمكنهما الاجتماع واحتمال أحدهما الآخر في ممارسة الحياة الوطنية ، على شرط أن ترفع فكرة الإتحاد الإسلامي[1] » . وهذا بالضبط ما يسمى بـ « البنج سيلا » أو المبادىء الخمسة الشائعة في اندونيسيا الآن .

وهذا الناصح لوزارة المستعمرات أشار على حكومته :

« أنه يجب على الحكومة أن تحذر من وضع كثير من المأمورين (يعني الموظفين) الوطنيين الذين يدينون بالإسلام في المدن أو المقاطعات التي يدين أهلها بالوثنية ، لئلا

---

(١) حاضر العالم الإسلامي ١/ ٣٤٤

تكون قد ساعدته على نشر الإسلام بدون قصد منها »[1].

وسنوك عمل جهده على الإبقاء على قوانين العادات وإبدال الشريعة بها وإبعاد التعليم الإسلامي وإضعاف دور العلماء السياسي وقد أثمرت جهوده كلها فأصبح التعليم دنيويًا في أندونيسيا اليوم يسير على النظام الذي وضعه سنوك هور خرونيه .

وهذا ما ردده رصيف فرنسي لسنوك - كان يعمل في أفريقيا - فقال :

« إنه يوجد من عادات الزنوج القديمة ، قواعد قضائية كافية لأجل حل المشكلات الاجتماعية ، وفصل الخصومات الفردية . وهذه العادات لا تقل متانة من وجوه كثيرة عن الشرع الإسلامي »[2].

---

(١) حاضر العالم الإسلامي ١/ ٣٤٠

(٢) حاضر العالم الإسلامي ٢/ ٣٥٣

فرأي الهولندي والفرنسي أن بقاء الوثنيين على عقائدهم الوثنية ، هو أوفق لهولندا ولفرنسا من تدينهم بالإسلام ،عندما عجزت دعوات التنصير عن استقطابهم إلى معسكر المسيح .

أما في الهند : فإن إرساليات التنصير بكافة كنائسها ، والاستشراق بأجمعه ، والاستعمار البريطاني بدوائره ، قد باركوا حركة السير أحمد خان .

فقال المنصّر ويرى في حديثه عن الإسلام الجديد في الهند : « إن أبين حركة بين مسلمي الهند ، هي حركة الإسلام الجديد التي أسسها سير أحمد خان في عليكرة .. إن هذه الحركة - في الواقع - هي أرهاصة لحركات أوسع ... لأن المثقفين المسلمين قد ثاروا على رق الفكر التقليدي ، لهذا فإنه من الأهمية القصوى دراسة هذا الوضع بعناية شديدة ... لأنه بداية فتح الباب للنظر في اعتبارات دعوة الانجيل .. ».

واختتم هذا (الخواجة) المنصّر قوله :

« إن هذا مليء حقًا بالآمال » .

وهذا الخان الذي خان ، امتدحه هندريك كريمر أعتى مبشر هولندي ، حين أرسلته الإرساليات البروتستانتية إلى الهند ، فاستبشر خيراً بالنجاح الذي تلقاه جامعة عليكرة حيث ألقى فيها محاضرة عن الحوار الإسلامي النصراني ، وفائدة هذا الحوار في منفعة المسلمين ؟؟ وأشاد بروح التسامح الذي تبثه هذه الجامعة باحتضانها بعض المنصِّرين ضمن هيئة التدريس فيها .

واليوم تضافرت جهود المبشرين والمستشرقين وعلماء الأديان المقارنة ، وأساتذة تاريخ الكنيسة ، مع إسرائيل ووسائل الصحافة والإعلام في هولندا في العمل على إبراز الحوادث الدموية في لبنان على أنها صراع بين الإسلام المعتدي على الأقلية النصرانية المسالمة . فتظهر موقف إسرائيل المدافع عن هذه الأقلية ، حين تقف وراء سعد حداد الذي أعلن مراراً في مقابلاته : أنه يجب على الغرب النصراني أن يفهم أن المسلمين الفلسطينيين هم دخلاء على

لبنان النصراني ، فعليه أن يمد حركته بكل عون ، لأن في هذا العون دفاعًا عن نصرانية أوربا وحضارة أوربا . ثم يصرح مناحيم بيغن في إحدى مقابلاته « إن المسلمين الفلسطينيين يريدون أن يعيدوا عجلة الحضارة الإنسانية إلى العصور الوسطى ، حيث تسود شريعة محمد في قطع الأيدي ورجم الإنسان » . ويتلقف أساتذة كراسي علم التبشير في جامعة امستردام الحرة وغيرها ودهاقنة الكنائس البروتستانتية تصريح بيغن هذا ، ليجددوا الدعوة إلى تنصير المسلمين العاملين في هولندا . ويحتج قسيس عمل في مصر سنين طوالاً على قرار الكنائس ، بمقالات يصف فيها الكنائس بالنفاق الديني ، لأن هذه الكنائس لم تعمل على إعانة هؤلاء الغرباء ومد يد العون لهم ، كأخوة لنا في الإنسانية ، فهي تستغل موقفهم الضعيف كغرباء بيننا ، اضافة إلى ذلك ، فإن المسلم المتمسك بدينه ، يشعر شعوراً عميقًا بتفوق عقيدته على النصرانية ، وكل محاولة لتنصيره تعني إهانة لمشاعره وكبريائه . وهذا بالتالي يتعارض مع

أبسط القواعد النصرانية التي تدعو إليها هذه الكنائس .

وفي مقال آخر قال : هذا المبشر السابق : « إن التبشير بين المسلمين لم يأت بأية نتيجة خلال السنين الطويلة وإن محاولة إنعاشه سوف تخلق نوعًا من الاحتكاك العدائي . ولذلك فمن الأحسن لنا أن نحترم عقيدة هؤلاء وأن نحاول أن نوفر لهم مجالاً لكي يقيموا شعائر دينهم » .

ولما ظهر المقال تواردت على الجريدة رسائل لا حصر لها من القسس والوعاظ ورجال الدين المنتمين لشتى الكنائس ، وكلها تحتج على ما جاء في مقالة الرجل :

فرد عليهم ببضعة سطور أنقل لكم ترجمة بعضها :

« إنه لغريب أن تنظم الكنائس برنامجًا خاصًا بالمسلمين الغرباء لتنصيرهم . بينما لا تتصدى للملايين من الهولنديين الذين تركوا النصرانية . فهل أن الإلحاد والكفر هو أقل سوءاً من الإيمان » .

واعتراض صاحبنا هذا لم يكن جديداً ، فقد رافقت حمى التنصير دعوات تندد بفرض الثقافة النصرانية على

شعوب تختلف في ثقافاتها وتقاليدها وحضارتها عن الثقافة الغربية . وأن هذا الفرض سوف يؤدي بالتالي إلى اختفاء هذه الحضارات التي هي أغنى في كثير من مظاهرها من الحضارة النصرانية الغربية . فانبرى المنصرون يردون على هؤلاء ويسفهون آرائهم . وأدركت إرساليات التنصير أن الخطر يهددها في عقر دارها ، فدعت إلى المؤتمر الدولي التبشيري الذي انعقد في تامبرام بمدراس الهند سنة ١٩٣٨م ، وتبعه مؤتمر بعد مؤتمر في بلدان مختلفة لمحاولة توحيد الجهود ، ودراسة أوفق السبل في تنصير المسلمين ، وكان السؤال الدائم أمام المؤتمرين :

أية استراتيجية صحيحة للوصول إلى تنصير المسلمين ؟

وقدم هندريك كريمر كتابه المعروف في الدوائر التنصيرية « الرسالة النصرانية في عالم غير نصراني » إلى المؤتمر التبشيري العالمي في مدارس . وقد استعرض كريمر في كتابه هذا : تاريخ التبشير كاملاً ، وحدد النقوص والأدواء

التي تعاني منها الكنيسة الغربية ، وإرساليات التبشير . وعطف على الإنتقادات التي تواجهها إرساليات التبشير ، ونعى على الكنيسة الشرقية والقبطية خمولها وتسرب الموت إلى تعاليمها . واقترح نفث الروح في هذه الكنائس لتكون رائدة في التبشير بين المسلمين . ولعل المهم في هذا الكتاب هو آراؤه الجديدة التي تبنتها دوائر التبشير والكنائس خارج البلدان النصرانية منها :

١ - تفهم الأديان الإنسانية وما فيها من جوانب مشرقة ومظلمة ، بما فيها النصرانية ، واعتبار هذه الأديان أطراً للحضارات مبنية على بناء اجتماعي .

٢ - التخلي عن اعتبار الحضارة الغربية مرادفة للنصرانية الغربية .

٣ - إن اعتبار الرجل الأبيض نفسه أرقى من غيره ، أمر مثير للسخرية .

٤ - اجتناب الكتابة لغرض إظهار دين الخصم بمظهر التفاهة بالنسبة للنصرانية ، وأن نهاية هذا الدين أو ذاك

قريب الزوال . (وكريمر يشير هنا إلى الكثير من كتابات المبشرين الذين تنبأوا ، إما باختفاء الإسلام تمامًا أو انعطاف المسلمين للنصرانية) .

٥ - إذا كان للنصرانية أن تصبح الدين المسيطر بدلاً من الأديان الأخرى ، فليس علينا أن نظهرها ببساطة كصراع بين الحقيقة والباطل . لأن العوامل السياسية ومثلها الاجتماعية التي توجد في أي بلد هي التي تقرر قطعيًا النتيجة .

وكريمر يشير هنا من طرف خفي إلى التحولات السياسية القومية التي تفرض العلمانية ، وبالتالي ، حرية العقيدة .

ويستطرد (الخواجة) المنصِّر قائلاً :

« فإذا حدث أن أحد الأديان غير النصرانية قد أزيح من السيطرة ، فإنه من غير المحتمل أن حدوثه كان نتيجة مباشرة لجهود إرساليات التنصير في إحلال النصرانية محله.

ولكن قد يكون ذلك نتيجة اجتماع كل العوامل غير المباشرة لجهود المبشرين » .

وكريمر يشير هنا إلى التعليم واجتذاب شباب هذا البلد أو ذاك للمدارس التنصيرية ، وبخاصة شباب الطبقات الأرستقراطية الحاكمة .

وقد كانت نتائج اقتراحات كريمر في دوائر التبشير في آسيا وأفريقيا ناجحة ، فقد تسلم زمام الحكم في كثير من الدول الأفريقية زعماء نصرتهم الإرساليات ، وتعلموا في مدارسها ، وتخرجوا من جامعاتها ، فساعدهم الاستعمار على تولي دفة الحكم في بلدان أكثر سكانها من المسلمين . والشواهد كثيرة ، فمن نايريري الذي التهم زنجبار وأباد المسلمين فيها . والذي نقل أسقفه إيتاكا قوله إلى المجمع الكنائسي المسكوني ، وأذيع من إذاعة هولندا أن رئيسه قال : إن الثورة الاجتماعية في تنزانيا هي ثورة نصرانية ، وإلى سنغور ، وإلى كون في نيجيريا وغيرهم .

وكان من نتائج اقتراحات كريمر ، أن اتخذت الكنائس

البيض في أفريقيا موقفًا عدائيًا من السلطات الأوربية ، كمثل الذي حدث في روديسيا (زمبابوي حالياً) وما زال يحدث في جنوب أفريقيا . ثم إننا نلاحظ اختفاء الكتب المهاجمة لهذا الدين أو ذاك . وحتى مجلة العالم الإسلامي المشهورة التي أنشأها زويمر في هارتفورد بأمريكا ، اتخذت سبيلاً مختلفًا عن سبيل جيل زويمر . ثم إن الكثير من الإرساليات ومراكز التنصير في الهند وباكستان خاصة ، تخلت عن الهجوم والشتيمة والسباب في نشراتها كجريدة البشير الذي يصدرها المركز التنصيري في إسلام آباد.

أما في أفريقيا ، فإن دراسة كريمر تركزت على التوصيات التي تبناها المؤتمر التنصيري الذي انعقد سنة ١٩٢٦ م في لاسوتو Le Zoute ، حيث ناقش المؤتمر كل المشكلات التي يتعرض لها التبشير والمبشرون في القارة السوداء . وكان من قرارات ذلك المؤتمر :

١ - إن المؤتمر يشعر بالحاجة العميقة لتبيان أن النصرانية ليست دين الرجل الأبيض ، بل إنها دين الأفارقة،

وعلى المنصّر حينئذ أن يحرر نفسه من موقف النصرانية العقيم تجاه الأفارقة وما يمثّله المبشر نفسه من قيم دينية وأخلاقية واجتماعية [١].

إن هذا القرار يعني نفاقًا دينيًا مفضوحًا ، فإن المنصّر منهم يعرف أنه ينافق إذا أغضى الطرف عن موقف النصرانية العرقي الثابت في لاهوت كل الكنائس ، في تفسيرها للعنة نوح الأبدية ، ويعرف المبشر أيضًا أنه ينافق إذا تخلّى عن قيم دينه وأخلاقيته في سبيل نشر النصرانية بين الأفارقة ، على حساب مثله وأخلاقياته . وهذا القرار بعد ذلك هو صورة واضحة لليأس الذي سيطر على دوائر التنصير ، وهو أيضًا محاولة خداعة لمحاربة الإسلام في أفريقيا . أرأيتم دجلاً دينيًا مثل هذا القرار الذي تتخذه كنائس العالم ؟

ويدعو كريم المنصّرين في أفريقيا ، أن يدرسوا لغات

---

(١) Kraemer , P . 338 .

البلد الذي يبشرون فيه ، ويدرسوا ديانات ذلك البلد بأسلوب الأنثروبولوجي (علم دراسة الإنسان وثقافته ودينه وعاداته ومرد ذلك على تصرفه في بيئة معينة) مع تغيير الأهداف. لأن المعنى بهذا العلم يشعر دومًا أن عليه أن يحافظ على مثل هذا التراث البدائي ، « أما المنصّر فإن عليه أن يستغل علمه في هذا العلم في صالح النصرانية . وإن المنصّر يجب أن يتصف بالثورة ، لأن من يريد أن يزرع النصرانية ، عليه أن يهاجم العقائد والتقاليد البدائية ، وما على المنصّر أن يشعر بالخجل لأن الإدارات الاستعمارية والتجار وأصحاب المزارع الأوربيين ، والتغلغل الغربي ، قد قاموا بهجوم مدمر أعتى وأقسى من هجومه » .

وبعد ، أرأيتم رسالة لأفريقيا أكثر إنسانية من هذه الرسالة ؟

لقد ثارت الدنيا على (عيدي أمين) لأنه طرد المنصرين ، وعلا الصراخ على السودان حين اجتث أسباب الفرقة ، فطرد المنصرين من الجنوب ، فضغطوا عليه ،

فأعادهم وعاد السكون ، وهاجت الصحف والإذاعات على سوهارتو لأنه أراد أن يعرف مصير الإعانات المالية الفخمة التي تتسلمها إرساليات التنصير في أندونيسيا دون رقابة مالية . ويذبح المسلمون في أرجاء الدنيا ، فلا تسمع نأمة احتجاج لا من المسلمين ولا من النصارى . وتنشر المقالات ، ويصرخ دعاة حقوق الإنسان ، ويصرخ وزير خارجية بريطانيا ، ويعقد أسقف كانتربري اجتماعات مطولة ، ويرسل عنه مندوبين إلى الحكومة الإيرانية لأنها قبضت على منصرين اثنين كانا يعملان في يزد واتهمتهما الحكومة الإيرانية بالتجسس ، ولما أطلق سراحُهما سكتت الأبواق . ويعثر على المسلمين مقطعة رؤوسهم في تايلاند ، فلا تطرف لأحد عين ، فهل الإسلام بخير ؟

وتنشر مجلة الدعوة المصرية استغاثة جمعية المسلمين في مدينة لايدن لكافة قرائها من الفقراء والأغنياء ، فيصل إلى بريد الجمعية بضعة دولارات اقتطعها من فمه طالب من أمريكا ، أو امرأة مسلمة من الكويت ، أو أحد موظفي

شركة الطيران السعودية ، أو موظف صغير في الاسكندرية، فتمتلىء قلوبنا بالبشر بالرغم من قلة التبرعات ، فنقول : أي والله إن الإسلام عند هؤلاء بخير .

وفي الوقت ذاته يعتمد مجلس الكنائس العالمي مبلغ خمسين مليـون دولار ، لانفاقها على التنصير وإقامة المراكز والمدارس والمستشفيات وملاجىء الأطفال في كل من تركيا وسوريا والأردن ومصر والسودان وتونس والجزائر والسنغال وملاوى وباكستان وبنغلاديش ، وهذه كلها دول إسلامية[1] .

والآن اسمحوا لي أن أحدثكم عن بعض مظاهر التنصير في هولندا .

يسكن هولندا الآن ما لا يقل عن ربع مليون مسلم ، جاؤوا إليها من أقطار متعددة ، كتركيا والمغرب وفلسطين

---

(١) مجلة الدعوة السعودية : العدد ٧٨٩ ، ١٠ جمادى الأولى سنة ١٤٠١ هـ ، ص ٧

وباكستان وأندونيسيا ومن مستعمرات هولندا السابقة في أمريكا الجنوبية . وإن غالبية هؤلاء من العمال الذين يتعرضون مع أولادهم يوميًا للتنصير المقصود والعفوي :

فالمقصود يبرز في الجيل الجديد ، وحاجته إلى التعليم . فالتعليم في المدارس ينقسم في هولندا إلى نوعين :

الأولى : مدارس حكومية علمانية لايدرس فيها الدين إلاّ إذا طلب آباء الطلبة ذلك .

الثانية : مدارس تابعة للكنائس المختلفة ، وهي مدارس دينية صرفة ، تتمتع باعانات الدولة وإشراف الكنائس .

ولما كانت المدارس الحكومية تستوعب حاجتها من الطلاب والطالبات ، الذين يفضل أهلوهم إرسالهم لها ، فإن المدارس الدينية على كثرتها تظل في حاجة إلى الطلبة ، فيضطر آباء الأطفال المسلمين إلى إدخالهم إلى المدارس الدينية التي تشجع العمال على إرسال أولادهم إليها . وقد حدث أن

نسبة الأطفال المسلمين في بعض مدارس امستردام واوترخت ولاهاي وغيرها ، زاد على تسعين بالمئة من عدد الطلاب ، وهذه المدارس الدينية لا تظهرِ هويتها لآباء الأطفال . وقد تثبت أنا بنفسي من ذلك حين عرضت إحدى محطات التلفزيون برنامجًا عن إحدى هذه المدارس . فذهبت مع أحد المسلمين الهولنديين وآخر من المستشرقين إلى هذه المحطة ، وطلبنا إعادة عرض الفيلم علينا ، فأعيد عرضه ، وكان من اعتراضنا على مُعدِّ الحلقة :

١ - هل يعرف آباء هؤلاء الأطفال أن هذه المدرسة تدرسهم الدين النصراني ؟ لأن القانون الهولندي يفرض على إدارة المدرسة أن يكون الآباء على علم تام بنظام المدرسة ؟ فقال : الحقُّ أنهم لا يعرفون . فقلنا له : أنت تعلم جيداً أن القانون الهولندي يفرض على إدارة المدرسة أنه إذا زاد عدد الطلاب الذين لا يرغبون في دراسة الدين النصراني ، على عدد أولئك الذين يرغبون فيه ، فإن المدرسة يجب أن تتحول من مدرسة دينية إلى مدرسة حكومية ! قال : أعرف هذا

غير أن أحداً من المسلمين لم يطلب ذلك .

وعقد مؤتمر لإدارات ومدرسي مثل هذه المدارس قبل شهرين (كان هذا سنة ١٤٠٠ ـ ١٤٠١هـ) في اترخت ، ومن خلال المناقشات برزت وجهتان :

الأولى : الاستمرار في تدريس الدين النصراني في هذه المدارس ، وحجة هؤلاء أن هذه المدارس أنشأت أصلاً لهذا الغرض . فعلى من لا يشاء أن يسحب ابنه إلى مدرسة أخرى .

والثانية : احتجت على الأولى ، وحجتها أن القانون الهولندي أكَّدَ على حرية العقيدة ، وأن تدريس الدين يعني تعديًا على هذه الحرية . بيد أنهم اقترحوا أن تسير هذه المدارس على النظام الذي تبنته انجلترا في مثل هذه المدارس، وهو أن يعين مدرس مسلم لتعليم هؤلاء الأطفال دينهم الإسلامي . بينما يستمر تدريس النصرانية للأطفال النصارى . وما يزال الاقتراحان في ، وزارة التعليم

الهولندية[1] .

لم يتعرض دين في الوجود لمثل ما تعرض له الإسلام، ولم تسفه عقائد نبي مثل ما سفهت عقيدة محمد عليه الصلاة والسلام . ولم يستهدف دين للسيف والقلم في الماضي والحاضر مثل ما استهدف الإسلام ونبي الإسلام . ولوكانت كل هذه الحملات المنظمة وغير المنظمة موجهة منذ قرون عديدة لأيٍّ دين آخر ، لما رأينا أحداً يقول به . وقد تضافرت جهود المستشرقين والمبشرين والصهيونية والاستعمار على هدف واحد وهو تفتيت الإسلام نفسه ، وذلك بالدعوة إلى الإصلاح والتطوير ومسايرة المدنية . وهدف هذه الدعوات هو :

---

(١) استطاع المسلمون بعد سنة ١٩٨٨م أن ينشئوا عشرين مدرسة ابتدائية ، انظر مناقشة الصعوبات والعقبات التي واجهها المسلمون في سبيل ذلك كتاب :

W. A. R . Shadid - P.S . Koning sveld, De Mythe van het Islamitische Gevaar, Kampen 1992, P 157

وعنوان الكتاب : « أسطورة الخطر الإسلامي » .

١ - قطع صلة الإســـلام في الوقت الراهن وفي المستقبل بالإسلام . أو بعبارة أصح قطع التفكير والتشريع الإسلامي في الحال وفي المستقبل ، بمصدر الوحي . وبذلك يفقد الإسلام ثباته وصلابته وذاتيته المتميزة المستقلة ، ويصبح طوع الأهواء والأغراض التي يوجهه لها أصحاب المصالح .

٢ - تفكيك الوحدة الإسلامية ، لأن الإسلام إذا فقد ارتباطه بذلك المصدر الأول الثابت الذي يجمع المسلمين على أشكال موحدة ، لم يعد هناك ما يمنع من أن يتشكل كل مجتمع إسلامي في تطوره بعوامل محلية يسيطر عليها الاستعمار الغربي في كثير من الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وينتهي الأمر إلى تقطيع المجتمع الإسلامي وامتصاصه في مناطق النفوذ المختلفة ، وتأمين مصالح الاستعمار الذي يخشى أن تؤلف العصبية الإسلامية بين المجتمعات الإسلامية ، فتجمعهم في كتلة متعاونة تغلق الباب في وجه الاستعمار بمختلف

صـــوره وأشكاله [1].

٣ - ونتيـجة لذلك فإن قطع هذه الصلات السرية بين المسلمين ، سوف يهيىء للاستعمار الغربي والصهيونية العـالميـة أن تتعـامل من مـوقع حـاجة بعض هذه الدول الإسلامية إلى مساعدتها ، فتعرض عليها ما تشاء ، مثل مـا كان جاريًا مع شاه إيران وعـلاقتـه بأمـريكا وإسرائيل، ومثل ما يحدث الآن في تركيا بعد الانقلاب الأخير .

لقد عجز التبشير وعجز الاستشراق بكل صورهما ، عن حمل أي شعب مسلم على اعتناق النصرانية الغربية ، بيد أنهما لم يعجزا عن خلق قيادات فكرية متغربة ، تدعو إلى الإنسانية مرة ، وإلى محبة البشر ثانية ، أو إلى العالمية وتوحيد الأديان أو التوفيق بينها . واتخذت هذه الدعوات أشكالاً وصوراً مختلفة . فبالشعر مرة ، والقصة والرواية

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية لمحمد محمد حسين ، بيروت ١٣٩٩ هـ ص ١٦٢

والمقامة الأدبية مرة أخرى ، أو بالمقالة السياسية أو بالنقد المغلف بالغيرة على الوطن من تطرف المتدينين فكان فرج فودة وسلامة موسى وموسى صبري ومحمد سعيد العشماوي ومحمد أركون والجابري والقائمة طويلة . وكل هؤلاء عبيد أرقاء وهم لا يشعرون . فمنهم من دعا إلى الشيوعية، ورأى خلاص المسلمين فيها ، ومنهم من رأى في التمدن الغربي والأمريكي قمة الحضارة التي تهفو إليها الأعناق ، ومنهم من عبد (ماتسي تونج) عبادة العجل ، ومنهم من رأى أن الحضارة والتمدن تعني الانسلاخ من الرجعية وأربابها . والرجعية عنده هي الدين ، ومن دان به . واستشهد على تأخر المسلمين بتقدم ربة الحضارة أوربا النصرانية - والقائمة طويلة .

لقد تأثَّر كل المتفرنجين الداعين إلى إصلاح الإسلام ، وإلى حمله على مسايرة المدنية الغربية ، بآراء البروتستانت وثورتهم على الكاثوليكية . وليت الأمر وقف على هذه الثورة ، فإن من أصلحوا الكاثوليكية أصلحوا ما أصلحوا ،

فتشعبت الإصلاحات ، وكثر المصلحون ، ونشأت من هذه الكنيسة المستصلحة كنائس وفرق لا حصرلها . فأراد هؤلاء المتفرنجون للإسلام ، ما أراده البروتستانت للكاثوليكية ، وشتان ما بين الاثنين .

لقد أثمرت الجهود التغريبية في تكوين مجموعة من العلماء والمفكرين (!!!) المنسوبين إلى الإسلام وتدريبهم . فتسلموا من الإرساليات والاستعمار دورهم ، فوفروا عليهم الجهود ، فعمل الاستعمار والماسونية ومن ورائهما الإرساليات على التنويه بهم والدعاية لهم ، فبوؤوهم مراكز التأثير في بلدان إسلامية ، بل إن من هؤلاء المتفرنجين من النصارى والمسلمين ، ما يزالون في مراكز القيادة في بلدان إسلامية اتخذت حكوماتها القومية أو العلمانية أو حتى تلك التي أعلنت « حرية العقيدة » ، أو تلك التي دعت إلى إعادة كتابة التاريخ الإسلامي من وجهة نظر الحزب القومية.

بيد أن الثابت هو أن الأقنعة وإن تعددت ، فإن الوجه يظل هو ذلك الوجه « الخوف من البعبع الإسلامي » . فقد

أصدر مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية التابع للجامعة التونسية كتاب « الملتقى الإسلامي المسيحي : الضمير المسيحي والضمير الإسلامي في مواجهتهما لتحديات النمو » في قرطاج -الحمامات - القيروان سنة ١٩٧٦ م ، وجاء في مقدمة هذا الكتاب التي كتبها عبد الوهاب بوحديبة مانصه :

« هذه الوثائق قدمت أثناء الملتقى الإسلامي المسيحي الذي دعونا إليه بقرطاج والحمامات والقيروان من ١١ إلى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٧٤ م ، وهي تعبر عن آمال عريضة وضعناها للملتقى ، أردناه همزة وصل وعربون إخلاص ، وجعلناه محل صدق وإيمان . ولم نتمكن من نشر ما دار بيننا من نقاش مثمر ، ولا من اعطاء صورة عامة منه ، ولكننا نأمل أن تتجدد الفرصة وأن نعيش مرة أخرى ذلك الجو ، فنساهم بقسطنا المتواضع في بناء صرح التفاهم والإخاء بين الأديان » وهذا التفاهم وهذا الإخاء سبق لمعهد الدراسات العربية في الفاتيكان أن دعا إليه وسماه « الحوار الإسلامي

النصراني » في :

Islamo- Christiano, Published by : Pantifico Instituto di Studi Arabi, Rome 1975

وهذا ما تدعو إليه كل الكنائس والإرساليات التنصيرية وأساتذة التنصير في الجامعات الأوربية والأمريكية ، والسبب كما رآه مستشرق ظريف ، هو أن النصرانية فشلت في تنصير العالم الإسلامي ورأت نفسها تتجه للهلاك ، أرادت بهذه الدعوة أن تجُرّ العالم الإسلامي معها وهي تقول : علي وعلى أعدائي يا رب .

أيها الأخوة :

معذرة لكم ، فقد شرقت بكم وغربت ، وعذري في كل هذا أنني لم أشأ أن أثقل عليكم بحديث مليء بالأرقام والتواريخ والجداول وأسماء الجمعيات التنصيرية العاملة في كل بلد من البلدان الإسلامية . ولم أشأ أن أقدم لكم حديثًا تاريخيًا عن تنظيمات هذه الإرساليات ، التي قسمت العالم غير النصراني فيما بينها ، وراحت تخطط لعملها الذي كان يتغير بتغير الظروف ومتطلباتها ، فإن كل هذه قد كفانيه

كثير ممن عني بهذا اللون من البحث .

ومع أن نشاط هذه الإرساليات المباشر ، قد انحسر ظله البغيض مع انحسار الاستعمار ، فإن هذه الإرساليات لم تزل تعمل في حرية تامة تحت شعارات أخرى كالمدارس والجامعات الأجنبية التي تزرع عقدة الخواجة في نفوس طلابها ، وجمعيات الإحسان المحلية والعالمية . وقد تطورت وسائل التنصير في عصرنا هذا ، وتغلغل العمل التنصيري أيضًا إلى وسائل الإعلام السمعية والمرئية والمطبوعات التي لم تزل تغرق صناديق البريد أو تتسلل عبر التصاميم العمرانية والمصنوعات المستوردة من الغرب أو من أمريكا.

ففي عرض لنشاط جماعة الشباب لأجل المسيح Youth of Christ قدمه التلفزيون الهولندي يوم ١٤ / ١ / ١٩٨٠ م ، كان من ضمن نشاط هذا الشباب تجنيد الشباب الكيني لحضور المحاضرات التي تقيمها الإرساليات التبشيرية ، وتوزيع الكتب التنصيرية مجانًا أو بالإعارة على طلبة المدارس ، وذلك بوساطة المكتبات المتنقلة في

السيارات . ظهر أن الشباب الكيني - شبانًا وشابات - متحمس للقراءة ، متعطش لقراءة كل ما يقع بيده ، على قول مدير إحدى المدارس التي زارتها إحدى هذه السيارات ، وأردف مدير المدرسة قائلاً :

« إنني أرى أن الدين له دور فعال في تنمية شخصية الطالب ، وإنني لا أمانع إطلاقًا أن يقرأ الطالب ما يشاء ، سواء عن النصرانية أو الإسلام ، لأن للدين جانبًا فعالاً ومهمًا في صياغة معاملات هذا الطالب وتعرفه ، وبالتالي علاقته مع غيره » .

ومن هذا النشاط فإنهم يصدرون مجلة تبشيرية تطبع منها عشرة آلاف نسخة ، ولهم مركزان في نايروبي .

أما في السياسة ، فإن دور الإرساليات التنصيرية فعال في التأثير على الأحزاب المسيحية المهيمنة الآن في هولندا وبلجيكا وإيطاليا وانجلترا ، وعلى الأحزاب التي تسمى بالأحزاب اليمينية في ألمانيا وفرنسا ، والتي لها ثقل سياسي كبير في تلوين سياسة الدولة من واقع هذا الارتباط، حين تتعامل هذه الدولة سياسيًا أو اقتصاديًا مع دولة

إسلامية . وإن مواقف أوربا منذ الحرب العالمية الأولى ، ومواقف أمريكا من القضايا الإسلامية لم يعد خرافة . وهل لي أن أكرر القول بما يجري في البوسنة ؟؟

أما موقف روسيا المختلفة عقائديًا عن أولئك ، فلم يكن أحسن حالاً . حتى بعد انهيارها وتفكك جمهورياتها .

ليس المهم - عند كل هؤلاء - أن يصبح المسلمون هوداً أو نصارى ، وليس المهم الآن تخريب الإسلام ، لأن عبيدهم يعملون هذا [1] ، لكن المهم أن يتخلى المسلمون عن هذا الدين الذي تخشاه أوربا وتخشان أمريكا ، وتخشاه روسيا ، وهؤلاء كلهم يخشون أن يجمع شعوبه في تضامن قوي يفضي بهم إلى التخلص من التبعية وبالتالي يقودهم إلى التحدي ! !

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(١) انظر الدراسة الرائعة للأخ علي الشيخ أحمد أبي بكر : الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الأفريقي ، دار أمية ـ الرياض ١٤٠٥هـ .

تم فسح هذا الكتاب من المديرية العامة للمطبوعات بوزارة الإعلام

برقم: ١٧٨٥/م وتاريخ ٩/ ٣ / ١٤١٣هـ

هذا الكتاب

* محاضرة ألقاها المؤلف في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. . تناول جوانب من تاريخ التبشير في البلدان الإسلامية، واستعرض بعض المقالات التي تناول فيها مصنفوها الاستشراق والتبشير معاً. . ولم يفته ذكر جهود أولئك الذين كفروا بالنصرانية فهاجموها ودافعوا عن الإسلام.

* بين كيفية وطرق قيام التبشير بمهمته «أساليب التنصير»، وتناول بشيء من التفصيل نشاطات الإرساليات التبشيرية في آسيا وأفريقيا.

* ذكر دور المتغربين من أبناء المسلمين الذين ساعدوا الإرساليات أو قاموا بدورها.

* ختمه بقوله: «ليس المهم ـ عند كل هؤلاء ـ أن يصبح المسلمون هوداً أو نصارى، ولكن المهم أن يتخلى المسلمون عن هذا الدين».

ردمك: ٧ ـ ٠٤ ـ ٦٦٢ ـ ٩٩٦٠